مقتضيات المحبة الصادقة

المقتضى الأول : البراءة من الشـــرك :

إذا كنت صادقًا في دعواك مـحبة النبي ﷺ ، فلابد أن تنقي قلبك من كل شائبـة من شوائب الشرك، قـال الإمام ابن القيم ـ رحـمه الله ـ: «النفي المحض ليس توحيـدًا، وكذلك الإثبات بدون النفي . . فلا يكون التـوحيد إلا متـضمنًا للنفي والإثبات معًا».

قال العلماء: لابد من التخلية قبل التحلية . . والتخلية هي أن تكفر بالأنداد والأرباب والآلهة والطواغيت.

نقِّب في قـلبك؛ هل خليستـه من هذا، هـل تبـرأت من الأنداد والآلـهـة والطواغيت وأخلصت القلب لله وحده لا شريك له.

والطواغيت ـ جمع طـاغوت ـ، والطاغوت كما قـال عمر: «هو الشيطان». وكما قال مالك: «هو كل ما عُـبد من دون الله». وكما قال ابن القيم: «هو كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع».

فأنت مأمـور أيها المحب أن تكفر بكل الطواغـيت على ظهر هذه الأرض، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٥٦)، لاحظ أن الله قد قدم الكفـر بالطاغوت على الإيمان بالله، إذ لابد من التخلية قبل التـحلية . . وأنت مأمور بالكفر بالأنداد، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ (البقرة: ١٦٥).

ومع هذا تجد كثيراً من الناس ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله ـ قد امتلأت قلوبهم بمحبة الأنداد من دون الله أو مع الله، ألم تسمع عن امرأة قد تخلصت من حياتها وانتحرت بسبب موت العندليب الأسود . . ألم تسمع عن رجل جلس في استادٍ للكرة فصرخ صرخة فقد فيها روحه؛ لأن فريقه قد مُنِيَ بهدف من الفريق الآخر.

ألم تسمع قول القائل:

هيبوني عيداً يجعل العرب امة ••• وسيروا بجثماني على دين برهم
سلام على كفر يوحد بيننا ••• واهلاً وسهلاً بعده بجهنم

ألم تسمع قول القائل:

آمنت بحزب البعث ربّاً لا شريك له ••• وبالعروبة دينًا ما له ثانِ

ألم تسمع قول القائل: إن مصر ستظل فرعونية ولو وقف الإسلام حجر عثرة في طريق فرعونيتنا لنحينا الإسلام جانبًا لتظل مصر فرعونية.

ألم تسمع، وتسمع، وتسمع ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله ـ.

قال رجل للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت يا رسول الله، قال ﷺ: **«أجعلتني لله نداً، ماشاء الله وحده»**[1].

دخل عدي بن حاتم على النبي ﷺ وهو يقرأ قول الله: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ**﴾ (التوبة: ٣١)، قال عدي: لا يا رسول الله، ما عبدناهم من دون الله، ففسر له النبي ﷺ الآية فقال ﷺ: **«ألم يحلوا لهم ما حرم**

---

(١) أخرج البخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٧)، وابن ماجة (٢١١٧)، وأحمد في «مسنده» (١/ ٢١٤)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (١٣٩).

الله ويحرمون عليهم ما أحل الله فاطاعوهم؟»، قال: بلى، قال ﷺ: «فتلك عبادتهم إياهم»[(١)].

وهذا فهم الكثير من الناس، يظن أن العبادة مقصورة على الركوع والسجود فحسب، بل العبادة لها معنى أعم وأشمل من ذلك، فالعبادة بمفهومها الصحيح: هي كل ما يحبه الله ويرضاه، ولاشك أن ما يحبه النبي ﷺ هو من جملة ما يحبه الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ، فإنك إذا تركت أي أمرٍ يحبه الله أو يحبه رسوله لقول أحد من الناس مهما كان، فتكون بذلك قد صرفت له العبادة من دون الله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢-١٦٣).

المقتضى الثاني: تحقيق التوحيد للعزيز الحميد:

فإذا كنت صادقًا في محبتك للنبي ﷺ فعليك أن تحقق التوحيد بأقسامه لله ـ جلَّ وعلا ـ، عليك بتحقيق: توحيد الربوبية؛ ومعناه أن تقر بالخلق والرزق والأمر والتصريف والتدبير والإحياء والإماتة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ (آل عمران: ١٥٤)، وهذا النوع من التوحيد لا يستطيع إنكاره أحد، بل قد أقر به مشركوا الجزيرة العربية، فإذا سألت أبا جهل: من خالقك؟ قال: الله. لو سألت المشرك: من رزقك؟ قال: الله. قال ـ جل وعلا ـ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ (العنكبوت: ٦١)، وقال سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (العنكبوت: ٦٣)، وقال سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٩٤)، وابن جرير الطبري (١٦٦٣٢).

﴿وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ (الزخرف:٩).

بل لقد انفرد الأخنس بن شريق بأبي جهل، فقال الأخنس: يا أبا الحكم، لا يوجد معنا أحد الآن يسمعنا، أستحلفك بالله، أمحمد صادق أم كاذب؟، فقال أبو جهل: «ويحك يا أخنس، والله إن محمداً لصادق». فنزل قول الله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ (الانعام:٣٣). بل قال قائلهم: إني لأقر لمحمد بالنبوة أكثر مما أقر لابني بالبنوة. وللأسف الشديد مع إقرار المشركين بهذا النوع من التوحيد تجد بعضًا ممن ينتسبون للإسلام عندما يقع في ضائقة يجزع ويتبرم ويضيق صدره، وهذا خرق في توحيد الربوبية.

يا صاحب الهم إن الهم منفرج ◆◆◆ إبشر بخير فإن المفرج الله
وإذا بُليت فثق بالله وارض به ◆◆◆ إن الذي يكشف البلوى هو الله
الله الذي يحدث بعد العسر ميسرة ◆◆◆ لا تجزعن فإن الخالق الله
والله مالك غير الله من أحد ◆◆◆ فحسبك الله في كل لك الله

✿ وبعد إقرارك بتوحيد الربوبية عليك بتحقيق توحيد الألوهية؛ يعني أن تصرف العبادة بركنيها من كمال الحب وكمال الذل وبشرطيها من الإخلاص والإتباع إلى من يستحق العبادة، وهو الله ـ سبحانه وتعالى ـ، والتوجه إله بكل الأفعال الظاهرة والباطنة، وعدم صرف أي عبادة من العبادات لغير الله، سواء كان ملكًا أو رسولاً أو وليًا، فضلاً عما دون ذلك من الأحجار والأشجار والقبور، حتى ولو على سبيل التوسل.

ومن ذلك الدعاء والاستغاثة وطلب المدد من الأموات والغائبين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ (الاحقاف:٥-٦)، وقال تعالى: ﴿وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ

(١٠٦) وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله (يونس:١٠٦-١٠٧)، وقال تعالى: ﴿فصل لربك وانحر﴾ (الكوثر:٢)، وقال ﷺ: «لعن الله من ذبح لغير الله»[١].

ومن ذلك النذر للقبور والصالحين، قال تعالى: ﴿وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار﴾ (البقرة: ٢٧٠)، ومن ذلك نسبة علم مفاتح الغيب إلى الأنبياء أو الأولياء أو الكهان أو العرافين أو المنجمين، واعتقاد أنهم يصرفون الكون، قال تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾ (الأنعام:٥٩)، وقال تعالى: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾ (لقمان: ٣٤).

وهذا شرك في الألوهية، وإذا أضاف إليه اللجوء إليهم ودعائهم ليضروا أو ينفعوا فقد زاد فيه شرك الربوبية، كمن يأتي السحرة والكهان ليسحروا له ويخبروه عن مستقبله، قال تعالى: ﴿وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم﴾ (البقرة:١٠٢).

وسبب البلاء: هو الغلو في الصالحين، وبناء المشاهد والقباب والمساجد على قبورهم، والتمسح بها والطواف حولها، وقد سد النبي ﷺ هذا الباب بقوله: «ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك»[٢].

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٧٨).

(٢) مسلم (٥٣٢).

وقال ﷺ : «لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور انبيائهم مساجد»[١]، يحذر مما صنعوا، وأمر بهدم كل قبر مشرف (مرتفع)، فالمسلم الحريص على توحيده لله تعالى يتجنب الصلاة في المساجد التي بُنيت على القبور، سداً لذريعة الشرك، وكذلك يحرص عل عدم إتيان الأمورالتي تؤدي إلى الشرك؛ كتعليق الخيوط ـ والحلق ـ وحدوة الحصان ـ والحرز والودع ـ والتمائم ـ والأحجبة على أنها سبب لدفع العين والحسد والشر.

قال ﷺ : «ومن تعلق تميمة فلا اتم الله له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له»[٢]

وقال ﷺ : «من تعلق تميمة فقد اشرك»[٣].

❁ ومن ذلك التطير (التشاؤم والتفاؤل بالطيور وغيرها). قال ﷺ «الطيرة شرك»[٤].

❁ ومنه التوسل البدعي، بأن يقول للميت: «ادع الله لي»، «استغفر لي»، أما لو قال له: «أغثني» أو «اغفر لي» فهو شرك أكبر، وهو توسل شركي أما طلب الدعاء من الصالحين الأحياء فإنه يجوز، كما قال أبو هريرة رضي الله عنه للنبي ﷺ : «ادع الله لأم ابو هريرة»[٥]، وقول خباب بن الأرت للنبي ﷺ : «الا تدع الله لنا»[٦].

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٠٤)، والطيالسي (٢/ ١١٣).

(٢) اخرجه أحمد (٤/ ١٥٤)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٧٥٣).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٥٦).

(٤) أخرجه أبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤).

(٥) مسلم (٢٤٩١).

(٦) البخاري (٣٨٥٢).

المقتضى الثالث : الـــولاء والبـــراء :

أخي الحبيب، بعدما خلصت نفسك من شوائب الشرك، وقمت بتوحيد الألوهية، عليك بعد ذلك بالولاء للمؤمنين، والبراءة من المشركين، فمن أصول هذه العقيدة الإسلامية أنه يجب على كل مسلم يدين بهذه العقيدة أن يوالي أهلها ويعادي أعداءها، فيحب أهل التوحيد والإخلاص ويواليهم، ويبغض أهل الشرك ويعاديهم، وذلك من ملة إبراهيم والذين معه. قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (الممتحنة: ٤).

وهو من دين نبينا محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة: ٥١)، وهذه في تحريم موالاة أهل الكتاب خصوصًا، وقال تعالى في تحريم موالاة الكفار عمومًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ (الممتحنة: ١)، بل لقد حرم الله على المؤمنين موالاة الكفار ولو كانوا من أقرب الناس إليهم نسبًا، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (التوبة: ٢٣)وقال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (المجادلة: ٢٢).

وكما أن الله سبحانه حرَّم موالاة الكفار أعداء العقيدة الإسلامية فقد أوجب سبحانه موالاة المؤمنين ومحبتهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا

فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (المائدة: ٥٥-٥٦)، وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح: ٢٩)، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: ١٠).

فالمؤمنون إخوة في الدين والعقيدة، وإن تباعدت أنسابهم وأوطانهم وأزمانهم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحشر: ١٠)، فالمؤمنون من أول الخليقة إلى آخرها مهما تباعدت أوطانهم وامتدت أزمانهم إخوة متحابون يقتدي آخرهم بأولهم ويدعو بعضهم لبعض ويستغفر بعضهم لبعض.

وبعدُ أخي الحبيب، عليك أن تعي جيدًا أنه لا يكون التوحيد إلا بالولاء والبراء، لا يصح اعتقادك إلا بالولاء والبراء؛ أن توالي الله ورسوله والمؤمنين وأن تتبرأ من الشرك والمشركين.

أتحب أعداء الحبيب وتدعي ... حبًا له ما ذاك في الإمكان
وكذا تعادي جاهدًا أحبابه ... أين المحبة يا أخي الشيطان
إن المحبة أن توافق من تحب ... على محبته بلا نقصان
فإن ادعيت له المحبة مع خلافك ... ما يحب فأنت ذو بهتان
نعم لو صدقت الله فيما زعمته ... لعاديت من بالله ويحك يكفرُ
ووالیت أهل الحق سرًا وجهرةً ... ولما تعاديهم وللكفر تنصرُ
فلا كل من قد قال ما قلت مسلم ... ولكن بأشراط هنالك تذكرُ
مباينة الكفار في كل موطن ... بذا جاءنا النص الصحيح المقررُ
وتصدع بالتوحيد بين ظهورهم ... وتدعوهم سرًا لذاك وتجهرُ
هذا هو الدين الحنيفي والهدى ... وملة إبراهيم لو كنت تشعرُ

المقتضى الرابع :سمع بلا تردد وطاعة بلا انحراف :

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (النور: ٥١-٥٢). هذا هو شعار المؤمنين: سمع بلا تردد وطاعة بلا انحراف، فاعرض نفسك أخي الحبيب على أوامر النبي ﷺ نواهيه، هل امتثلت أمر النبي، هل اجتنبت نهيه، هل وقفت عند حدوده ﷺ، فإذا كنت من سمع الأمر وامتثل وسمع النهي فاجتنبَ الحد فوقف؛ فاسجد لربك شكرًا وسل الله أن يزيدك حبًا على حب لحبيبك ﷺ.

وإذا كنت ممن سمع الأمر فلم يستجب والنهي فلم ينته والحد فلم يقف، فاعلم أن زعمك لحب النبي ﷺ زعم باهت بارد لا ساق له ولا قدم.. شعار المؤمنين السمع والطاعة، وشعار المنافقين السمع والمعصية؛ قال ـ جل وعلا ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء: ٦٠)، هذا هو شعار المنافقين: ألم ترى يا محمد ﷺ إلى هذا العجب العجاب إلى قوم يزعمون أنهم آمنوا بك وما أُنزل عليك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمرهم الله أن يكفروا به.

لما نزل على رسول الله ﷺ قول الله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ (البقرة: ٢٨٤)، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «اشتد ذلك على أصحاب النبي ﷺ، فانطلقوا حتى جَثَوا على الركب بين يديه وقالوا: يا رسول الله ﷺ، كُلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام

والجهاد والصدقة، ولقد أُنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، فغضب النبي ﷺ وقال: «أتريدون أن تقولوا ما قاله أهل الكتابين من اليهود والنصارى «سمعنا وعصينا»، بل قولوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة:٢٨٥)»، قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما أقترأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في إثرها: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة:٢٨٥)، فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾، قال: نعم، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾، قال: نعم، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾، قال: نعم، ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة:٢٨٦)، قال: نعم[1].

فانظر أخي الحبيب كيف استجاب الله وخفف عن الأمة، كل ذلك ببركة السمع والطاعة، فيا من تدعي محبة النبي ﷺ...

- أمرك النبي ﷺ بالصلاة في وقتها... فهل أديت الصلاة في أوقاتها؟.
- أمرك النبي ﷺ بترك الحرام والربا... فهل تركت الربا؟.
- أمرك بعدم شرب الخمر فهل تركت الخمر؟.
- أمرك بترك الزنا... فهل ابتعدت عن الزنا وأسبابه؟.
- أمرك ببر الوالدين... هل امتثلت الأمر؟.
- أمرك بالإحسان إلى الجيران... هل أحسنت إليهم؟.
- أمرك بالإحسان إلى الأخوة والأهل... هل أحسنت إليهم؟.
- أمرك بإعفاء اللحية... هل أعفيت لحيتك؟.

---

(١) مسلم (١٢٥).

أعرض نفسك على أوامر النبي ﷺ ونواهيه وحدوده، وأجب نفسك بنفسك، واعرف مكانك من دعواك محبة النبي ﷺ واعرف مدى صدقها من كذبها، فإن كنت صادقًا في دعواك فاحمد الله، وإن كانت دعوة بلا معنى فسارع قبل أن تصيبك فتنة أو عذاب أليم، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور: ٦٣).

واعلم يقينًا أنك إن عصيت رسول الله ﷺ فقد عصيت الله، وإن أطعت رسول الله ﷺ فقد أطعت الله، وإن امتثلت أمر النبي فقد امتثلت أمر الله، قال ـ جَلَّ وعَلا ـ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الحشر: ٧)، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ (المائدة: ٩٢)، وقال سبحانه: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠)، وقال ـ عَزَّ وجَلَّ ـ: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء: ٦٥)، وقال ـ جَلَّ وعَلا ـ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الحجرات: ١).

❁ قال ابن عباس: أي لا تقولوا خلاف الكتاب والسُّنَّة.

❁ قال مجاهد: أي لا تفتاتوا شيئًا على رسول الله ﷺ حتى يقضي الله على لسان نبيه.

❁ قال القرطبي: لا تقدموا قولاً على قول الله ولا تقدموا قولاً ولا فعلاً على قول وفعل رسول الله ﷺ.

❁ وقال الشنقيطي: لا حرام إلا ما حرمه الله ورسوله، ولا حلال إلا ما أحله الله ورسوله، ولا دين إلا ما شرعه الله على لسان رسول الله ﷺ.

فمن كذَّب النبي ﷺ فقد كذب الله، ومن ضيع السنة فقد ضيع القرآن، ومن كفر بالنبي ﷺ فقد كفر بالرحمن.

❁ ففي سُنن أبي داود من حديث المقدام بن معد يكرب أن النبي ﷺ قال: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه (القرآن والسُّنَّة)، ألا يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم في من حرام فحرموه»، ثم قال ﷺ: «ألا إن ما حرم رسول الله كما حرم الله»[(١)].

هكذا أخي الحبيب، طاعة النبي ﷺ من جملة طاعة الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ، وإياك ثم إياك من التفرقة بين الكتاب والسُّنَّة، وكن لحوحًا على نفسك لتأتمر بأمر النبي ﷺ وتنتهي بنهيه وتقف عند حدوده، وليكن شعارك دومًا: سمع بلا تردد وطاعة بلا انحراف.

وتذكر أن عدم الطاعة للنبي ﷺ تكون وبال شؤم على صاحبها، فقد حكى الله ـ جَلَّ وعَلا ـ عن الكفار في دركات جهنم قولهم: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾ (الاحزاب:٦٦)، فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم الندم.

❁ وفي الحديث: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»، قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»[(٢)].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٤)، والترمذي (٢٦٦٦)، وابن ماجة (١٢).

(٢) متفق عليه: البخاري (٧٢٨٠)، ومسلم (١٨٣٥).

❁ وعنه ﷺ قال: «مثلي ومثلُ ما بعثني الله به؛ كمثل رجل أتى قومًا فقال: يا قوم، إن رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان، فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة فأصبحوا مكانهم فصبَّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم .. فذلك مَثَلُ من أطاعني واتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق»[1].

❁ وفي الحديث الآخر في مثله كمثل من بن دارًا وجعل فيها مأدبة، وبعث داعيًا، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة، فالدار الجنة والداعي محمد ﷺ، فمن أطاع محمدًا فقد أطاع الله، ومن عصى محمدًا فقد عصى الله، ومحمد فرقٌ بين الناس[2].

فمن أطاع النبي ﷺ دخل الدار وأكل من المأدبة أي دخل الجنة، ومن عصى النبي ﷺ لم يدخل الجنة . . فطاعة النبي ﷺ طاعة لله، ومعصية النبي ﷺ معصية لله .

المقتضى الخامس: توقير النبي ﷺ:

فمن مقتضيات المحبة ولوازمها: توقير النبي ﷺ وتبجيله وتعظيمه حيًا وميتًا، وقد ورد من الآيات ما يدل على وجوب توقيره وامتثال أمره ﷺ.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (الحجرات: ١)، وقال

---

(١) متفق عليه: البخاري (٧٢٨٣)، ومسلم (٢٢٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٩/ ١١٤).

سبحانه: ﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور:٦٣)، وقال سبحانه: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ (الفتح:٩)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الاعراف:١٥٧)، ومن ذلك قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (النساء:٦٤)، وقوله سبحانه: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (النساء:٨٠)، وقوله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ (النور:٥٤)، وقوله سبحانه: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء:٦٥).

هذا وقد قال الشنقيطي ـ رحمه الله ـ في تفسيره (أضواء البيان):

وقد دلت آيات من كتاب الله على أن الله تعالى لا يخاطبه في كتابه باسمه، وإنما يخاطبه بما يدل على التعظيم والتوقير كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ (الاحزاب:١)، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ (المائدة:٤١)، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ (المزمل:١)، ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ (المدثر:١)، مع أنه ينادي غيره من الأنبياء بأسمائهم؛ كقوله: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ﴾ (البقرة:٣٥)، ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ (الصافات:١٠٤)، وقوله: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ (هود:٤٦)، ﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾ (الاعراف:١٤٤)، ﴿يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ (آل عمران:٥٥)، ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً﴾ (ص:٢٦).

أما النبي ﷺ فلم يذكر اسمه في القرآن في خطاب، وإنما يذكر في غير ذلك كقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ (آل عمران:١٤٤)، وقوله: ﴿وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ (محمد:٢)، وقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾ (الفتح:٢٩).

ومن صور إكرام الله لنبيه ﷺ وثنائه عليه ودفاعه عنه:

قوله سبحانه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ (الفتح: ١-٣)، وقوله تعالى: ﴿فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ (الطور: ٢٩)، وقوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ (النجم: ٢)، وقوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (النجم: ٣)، وقوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الشرح: ١-٤).

فعليه صلوات ربي وأفضل تسليماته، لما كانت هذه مكانته عند ربه سبحانه أنزل قوله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (الحجرات: ٢)، فنزلت هذه الآية في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

أخرج البخاري من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: «قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر: «أمِّر القعقاع بن معبد بن زرارة»، فقال عمر: «بل أمِّر الأقرع بن حابس»، قال أبو بكر: «ما أردتُ إلا خلافي»، قال عمر: «ما أردتُ خلافك»، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا...﴾ (الحجرات: ١)، حتى انقضت[1].

وأخرجه البخاري من طريق ابن أبي مليكة قال: كاد الخيران أن يهلكا ـ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ـ، لما قدم على النبي ﷺ وفد بني تميم، أشار أحدهم

---

(١) البخاري (٤٣٦٧).

بالأقرع بن حابس التميمي الحنظلي أخي بني مجاشع، وأشار الآخر بغيره، فقال أبو بكر لعمر: «إنما أردت خلافي»، فقال عمر: «ما أردت خلافك»، فارتفعت أصواتهما عند النبي ﷺ، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ (الحجرات: ٢)[١].

قال ابن الزبير ﷺ فما كان عمر يُسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه[٢].

وروى الحاكم موصولاً بسند صحيح: أن أبا بكر لما نزلت الآية قال للنبي ﷺ: «أليت على نفسي يا رسول الله ألا أكلمك بعد اليوم إلا كأخي السرار»[٣]، أي كالذي يقول لأخيه سراً من الأسرار، وأنتم تعلمون أن الذي يقول لأخيه سراً يهمس في أذنه حتى لا يُسمع السر؛ انظروا إلى أدب الصحابة مع النبي ﷺ.

ويستفاد من سبب نزول هذه الآية: امتثال مزيد الأدب مع رسول الله ﷺ وإيضاح ذلك أن الآية كما سلف نزلت في أبي بكر وعمر ﷺ، وهما خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ، ومع ذلك نزل فيهما الذي نزل مع أنهما لم يخالفا رسول الله ﷺ في شيء أمر به، وإنما تقدما بقول قبل أن يقول رسول الله ﷺ كلمته، فجاءهم قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، وكذلك جاءهم التهديد بإحباط العمل في قوله تعالى: ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾، فتحرج سائر الصحابة بنزول هذه الآية حتى من الإجابة على الأسئلة التي تطرح عليهم

---

(١) البخاري (٢ - ٧٣)، يقول شيخنا أبي عبد الله مصطفى العدوي ـ حفظه الله ـ: أن هذا الحديث صورته صورة المرسل، وقد ورد عند الترمذي (٣٢٦٦) بسنده عن ابن أبي مليكة حدثني عبد الله بن الزبير، فصرح ابن أبي مليكة بتحديث ابن الزبير له، فاتصل السند بذلك.

(٢) البخاري (٤٨٤٥)، والترمذي (٣٢٦٦)، والنسائي (٥٣٨٦).

(٣) الحاكم (٢/ ٤٦٢)، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

من رسول الله ﷺ، مع علمهم بها، فكان ﷺ يسأله: «أي يوم هذا؟»[١]، وهم يعرفون هذا اليوم وأنه يوم النحر، ولكنهم يتحرجون من الإجابة تأدبًا وظنًا منهم أنه ﷺ يريد أن يسميه بغير اسمه، فيقولون: «الله ورسوله اعلم»، وكذا في إجابتهم لما سألهم رسول الله ﷺ: «أي شهر هذا؟»، وكذا لما سألهم: «أي بلد هذا؟».

وكذلك في حديث ذي اليدين أنه قال لرسول الله ﷺ حين سلم من الركعتين: «أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله؟»[٢]. وقد كان في القوم أبو بكر وعمر ووجوه الصحابة، فهابوا أن يكلموا رسول الله ﷺ، وتكلم هذا الرجل. قال أبو المظفر السمعاني: لأنه لم يكن يعلم من قدره وعظم حقه ما كانوا يعلمون.

وبلغ التحرج غايته مع الصحابي الجليل ثابت بن قيس بن شماس بعد نزول قوله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾، ففي صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس، فقال رجل: يا رسول الله، أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده جالسًا في بيته منكسًا رأسه، فقال له: «ما شأنك؟»، فقال: «شر، كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فحبط عمله، وهو من أهل النار»، فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا، فقال موسى: فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة فقال: «اذهب إليه فقل له: إنك لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٢٨)، ومسلم (٥٧٣).

(٣) البخاري (٤٨٤٦).

وفي صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، لما نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ إلى آخر الآية، جلس ثابت ابن قيس في بيته وقال: «أنا من أهل النار»، واحتبس عن النبي ﷺ، فسأل النبي ﷺ سعد بن معاذ فقال: «يا أبا عمرو، ما شان ثابت؟ أشتكى؟»، قال سعد: إنه لجاري وما علمت له بشكوى، قال: فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله ﷺ، فقال ثابت: «أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتاً على رسول الله ﷺ، فأنا من أهل النار»، فذكر ذلك سعد للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «بل هو من أهل الجنة»[1].

انظر ـ رحمني الله وإياك ـ توقير الصحابة للنبي ﷺ وخوفهم على أنفسهم على الرغم من أنهم أطهر الخلق بعد الأنبياء والمرسلين وأحبهم للنبي ﷺ وأخلصهم لله سبحانه، إلا أنهم كانوا يسيئون الظن بأنفسهم، فكان جزاءهم أن رضي الله عنهم ـ سبحانه وتعالى ـ.

وصور توقير الصحابة للنبي ﷺ كثيرة ومتعددة، منها ما رُوي عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: «ما كان أحد أحب إليَّ من رسول الله ﷺ، ولا أجَلَّ في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له، ولو سُئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه».

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وعمر، فلا يرفع أحد منهم إليه بصره إلا أبو بكر وعمر، فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ويتبسمان إليه ويتبسم لهما.

---

(١) صحيح مسلم (١١٩).

وروى أسامة بن شُريك قال: أتيت النبي ﷺ وأصحابه حوله كأنما على رؤوسهم الطير.

وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام القضية إلى رسول الله ﷺ (عام القضية المقصود به العام الذي جرت فيه القضية: أي الصلح، وهو عام الحديبية)، ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى، وأنه ما توضأ إلا ابتدروا وضوءه، وكادوا يقتتلون عليه، ولا يبصق بصاقًا ولا يتنخم نخامة إلا تلقوها بأكفهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم، ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها، وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إلى النظر تعظيمًا له.

فلما رجع إلى قريش قال: يا معشر قريش، إني جئت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكًا في قوم قط مثل محمد في أصحابه. وفي رواية: إن رأيت ملكًا قط يعظه أصحابه ما يعظم محمدًا أصحابه.

❁ وعن أنس رضي الله عنه: لقد رأيت رسول الله ﷺ والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل.

❁ ولما أذنت قريش لعثمان في الطواف بالبيت حين وجهه النبي ﷺ إليهم في القضية أبى وقال: «ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ».

❁ وعن المغيرة: كان أصحاب رسول الله ﷺ يقرعون بابه بالأظافر.

❁ وعن البراء بن عازب: لقد كنت أريد أن أسأل رسول الله ﷺ عن الأمر فأؤخر سنين من هيبته.

وكذلك كان حال التابعين من بعدهم في توقيرهم للنبي ﷺ، فكان مالك ابن أنس لا يحدث بحديث رسول الله ﷺ إلا على وضوء إجلالاً له.

✿ وقال مصعب بن عبد الله: كان مالك بن أنس إذا حدث عن رسول الله ﷺ توضأ وتهيأ ولبس ثيابه، ثم يحدث. قال مصعب: فسئل عن ذلك فقال: «إنه حديث رسول الله ﷺ».

✿ وعن مطرف قال: كان إذا أتى الناس مالكًا خرجت إليهم الجارية فتقول لهم: يقول لكم الشيخ تريدون الحديث أو المسائل؟ فإن قالوا المسائل خرج إليهم، وإن قالوا الحديث، دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابًا جُددًا ولبس ساجة وتعمم ووضع على رأسه رداءه وتلقى له منصة، فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع، ولم يكن يجلس على تلك المنصة إلا إذا حَدَّث عن رسول الله ﷺ، وكان يكره أن يُحَدِّث في الطريق أو وهو قائم أو مستعجل. وقال: «أحب أن أفهم حديث رسول الله ﷺ».

✿ وكان قتادة يستحب أن لا يقرأ أحاديث رسول الله ﷺ إلا على وضوء.

✿ ولقد ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكًا في مسجد رسول الله ﷺ، فقال له مالك: «يا أمير المؤمنين، لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله تعالى أدب قومًا فقال: ﴿لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ (الحجرات:١)، ومدح قومًا فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ (الحجرات.٣)، وذم قومًا فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ (الحجرات:٤)، وإن حرمته ميتًا كحرمته حيًا، فاستكان لها أبو جعفر.

✿ روى البخاري عن السائب بن يزيد قال: كنت واقفًا في المسجد النبوي يومًا، فحصبني رجل ـ أي رماني بحصاة ـ، فالتفت فإذا هو عمر بن الخطاب،

فنادى عليَّ فذهبت إليه، يقول: فأشار إليَّ على رجلين في المسجد النبوي أمام قبر النبي ﷺ، فأشار إليَّ عمر وقال: آتني بهذين الرجلين، فجئته بهما، فلما وقفا أمام عمر قال لهما: «من اين انتما؟»، قالا: من الطائف، قال عمر: «والله لو كنتما من أهل هذه البلد لأوجعتكما ضربًا، اترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ»[1].

❁ وكان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي ﷺ فيُنظر إلى لونه كأنما نزف منه الدم، وقد جف لسانه في فمه هيبة منه لرسول الله ﷺ.

❁ وكان عامر بن عبد الله بن الزبير إذا ذكر عنده النبي ﷺ بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع، وكان ابن سيرين ربما يضحك، فإذا ذكر عنده حديث رسول الله ﷺ خشع .. فحرمته ﷺ حيًا كحرمته ميتًا، وعدم توقيره ذنب يعاقب الله صاحبه.

فمن ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله، فقال: «كل بيمينك»، قال: لا أستطيع، قال: «لا استطعت، ما منعه إلا الكبر»، قال: فما رفعها إلى فيه[2].

❁ ومن ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث سعيد بن المسيب ـ رحمه الله ـ عن أبيه أن أباه جاء إلى النبي ﷺ فقال: «ما اسمك؟» قال: حزن، قال: «أنت سهل»، قال: لا أغير اسمًا سمانيه أبي، قال ابن المسيب: فما زالت الحزونة فينا بعد[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٢١).

(٣) أخرجه البخاري (٨/ ٥٣)، وأبو داود (٤٩٥٦).

المقتضى السادس : توقير الصحابة رضي الله عنهم :

فتوقير الصحابة من لوازم محبة النبي ﷺ ومن تتمة توقيره ﷺ ، وهم المختارون لصحبة النبي ﷺ ؛ لطهرة قلوبهم ونقاء سريرتهم.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : **«إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب الرجال بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون عن دينه»**[(١)].

هذا الأثر جسد أنهم صفوة الخلق بعد الأنبياء: إنهم المهاجرون والأنصار الذين حملوا دعوة النبي المختار ﷺ ، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فاستحقوا بجدارة واقتدار أن يبشروا وهم في الدنيا بالجنة والنجاة في الآخرة من النار. إنهم أصحاب النبي ﷺ حملة هذا الدين والدعاة إليه بإخلاص، فكان لهم الأجر العظيم لصحبتهم رسول الله ﷺ والجهاد معه في سبيل الله، وأعمالهم الجليلة في نشر الإسلام. ولهم مثل أجر من بعدهم لأنهم الواسطة بينهم وبين رسول الله ﷺ ، ومن دعى إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، كما ثبت ذلك عن رسول الله ﷺ في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه[(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد (٣٦٠٠)، وإسناده حسن، وذكره الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٧، ١٧٨)، وقال رواه أحمد والبزار والطبراني في «الكبير»، ورجاله موثقون.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٧٤)، وأبو داود (٤٦٠٩)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجة (٢٠٦).

وقد أثنى الله عليهم في كتابه العزيز وأثنى عليهم رسول الله ﷺ في سنته المطهرة، وحسبهم ذلك فضلاً وشرفًا . . قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١٠٠)، قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح: ٢٩).

وفي قوله سبحانه في حق الصحابة الكرام رضي الله عنهم: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾، أخير حكم وأغلظ تهديد وأشد وعيد في حق من غيظ بأصحاب رسول الله ﷺ أو كان في قلبه غل لهم أو لأحدهم، وقال تعالى: ﴿لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (الحديد: ١٠)، وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحشر: ٨-١٠).

فهذه ثلاث آيات من سورة الحشر؛ الأولى منها في المهاجرين، والثانية في الأنصار، والثالثة في الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار مستغفرين لهم الله تعالى أن لا يجعل في قلوبهم غلاً لهم، وليس وراء هذه الأصناف الثلاثة إلا الخذلان والوقوع في حبائل الشيطان، لذا قالت عائشة رضي الله عنها لعروة بن الزبير

بشأن بعض هؤلاء المخذولين: «أمروا ان يستغفروا لأصحاب رسول الله ﷺ فسبوهم، إنهم اصحاب النبي ﷺ الذين عدلهم ربهم ونبيهم ﷺ».

قال الخطيب البغدادي في كتابه (الكفاية في علم الرواية): إن عدالة أصحاب النبي ﷺ ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم، واختيارهم بنص القرآن، قال الرحيم الرحمن: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: ١١٠).

وهم المخاطبون بقوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ (آل عمران: ١٧٢-١٧٤)، وقال الله في حقهم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: ٦٤)، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح: ١٨).

والآيات في حقهم وفضلهم كثيرة ـ رضي الله عنهم جميعًا ـ، فهم خير الناس، كما قال النبي ﷺ كما في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم»[(١)].

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أحداً من اصحابي، فلو أحداً انفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مُد احدهم ولا نصيفه»[(٢)].

---

(١) البخاري (٣٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٣)، والترمذي (٣٨٥٨).

(٢) البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤)، وأبو داود (٤٦٥٨).

وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال: مُر بجنازة فأثني عليها خيرًا، فقال النبي ﷺ: «وجبت وجبت وجبت»، ومُر بجنازة فأثني عليها شرًا، فقال نبي الله ﷺ: «وجبت وجبت وجبت»، قال عمر: «فدى لك أبي وأمي، مُر بجنازة، فأُثني عليها خيرًا فقلت: وجبت وجبت وجبت، ومُر بجنازة فأُثني عليها شرًا فقلت: وجبت وجبت وجبت»، فقال رسول الله ﷺ: «من اثنيتم عليه خيرًا وجبت له الجنة، ومن اثنيتم عليه شرًا وجبت له النار، أنت شهداء الله في الأرض أنتم شهداء الله في الأرض»[1].

❁ وفي صحيح مسلم عن عائذ بن عمرو أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر، فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها، قال أبو بكر: «أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم؟»، فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال: «يا أبا بكر، لعلك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك»[2]. فأتاهم أبو بكر فقال: «يا إخوتاه، أغضبتكم؟»، قالوا: لا، يغفر الله لك يا أخي.

❁ وفي صحيح مسلم من حديث أبي بردة عن أبيه قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي بعد العشاء، قال: فجلسنا فخرج علينا فقال: «مازلتم هاهنا؟»، قلنا: يا رسول الله، صلينا معك المغرب ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال: «أحسنتم أو أصبتم»، قال: فرفع رأسه إلى السماء، وكان كثيرًا ما يرفع رأسه إلى السماء فقال: «النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ماتوعد. وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت

---

(١) صحيح: البخاري (١٣٦٧)، و مسلم (٩٤٩).

(٢) رواه مسلم (٢٥٠٤).

أتى أصحابي ما يوعدون. وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»[(١)].

والوارد في حق الصحابة من الآيات والأحاديث كثير، لكن مادام التفاضل سُنَّة مِنْ سُنن الله في كونه فالله سبحانه، فاضل بين الشهور بعضها ببعض وفاضل بين الأيام ببعضها ببعض، وفاضل بين الأنبياء وفاضل بين البلاد، فالواجب علينا بعد محبة الصحابة وتوقيرهم جميعًا أن نحفظ لأهل الفضل منهم فضلهم، الذين فَضَّلهم الله ورسوله على غيرهم.

وفي مقدمتهم الصديق أبو بكر رضي الله عنه، ذلك الرجل الذي عاين طائر الفاقة يحوم حول حب الإيثار، فألقى له الصديق حَب الحُبِّ على روض الرضا، واستلقى الصديق على فراش الفقر آمنًا مطمئنًا، فرقع الطائر الحَب إلى حوصلة المضاعفة وتركه هنالك، ثم علا أفنان شجرة الصدق يغرد للصديق بأغلى وأعلى فنون المدح ويتلو في حقه قول ربه: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ (الليل: ١٧-٢١).

✿ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه ليس من الناس أحد أمَنَّ عليَّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة، ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن خُلة الإسلام أفضل، سدوا كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم (٢٥٣١).

(٢) رواه البخاري (٤٦٧)، وأحمد (١/ ٢٧٠).

❁ عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة»، فقلت: من الرجال؟ قال: «أبوها»، قلت: ثم من؟ قال: «ثم عمر بن الخطاب»، فعد رجالاً[١].

❁ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر»، فبكى أبو بكر وقال: «هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله»[٢].

❁ وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أهل الدرجات العُلى ليرون من فوقهم كما ترون الكوكب الدري في أفق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما»[٣].

❁ وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أبو بكر وعمر من هذا الدين كمنزلة السمع والبصر من الرأس»[٤].

❁ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أنفق زوجين من الأشياء في سبيل الله: دُعي من أبواب الجنة: يا عبد الله، هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الصيام وباب الريان»، فقال أبو بكر: «ما على هذا الذي يُدعى من تلك الأبواب من ضرورة؟»، وقال: «وهل يُدعى منها كلها أحد يا رسول الله؟»، قال:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٨٤)، والترمذي (٣٨٨٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٦١)، وابن ماجة (٩٤)، وأحمد (٢/ ٢٥٣).

(٣) رواه الترمذي، وابن ماجة، وأحمد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٣٠).

(٤) قال الألباني في «الصحيحة» (٨١٥): هذا إسناد حسن رجاله كلهم ثقات.

«نعم، وارجو ان تكون منهم يا ابا بكر»[١]، وفي رواية ابن حبان من حديث ابن عباس قال ﷺ: «اجل، وانت هو يا أبا بكر».

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ في (النونية):

ولسوف يُدعى المرء من أبوابها ... جمعاً إذا وفى حُلى الإيمان
منهم أبو بكر هو الصديق ذاك ... خليفة المبعوث بالقرآن

فرضي الله عن ابي بكر وسائر الصحابة الكرام

وثانيهم الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ:

ذلك الرجل العملاق الذي بركت الدنيا بزينتها وزخارفها على عتبة داره فطلقها ثلاثًا وسرحها سراحًا جميلاً، وقام ينفض يديه من علائق هذا المتاع الزائل، واستأنف سيره وسط الصحراء تحت حرارة الشمس المحرقة.

تراه يجري وراء بعير قد ندَّ من إبل الصدقة يخشى عليه الضياع، يخشى أن يُسأل عنه بين يدي الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ يوم القيامة، أو تراه وهو الخليفة تراه منحنيًا على قِدر فوق نار مشتعلة ينفخ النيران تحت القدر لتنضح النيران طعمة سريعة لأطفال يتضورون جوعًا.

أو تراه واقفًا أمام خيمة رجل يبكي لامرأته التي أدركها كرب المخاض وهي لا تجد أحد يؤنسها، فيسرع ليأتي بزوجته وهو خليفة المسلمين لتقف مع هذه المرأة حتى تضع ولدها.

أو تراه يمشي في السوق يومًا يتفقد أحوال الناس، فيرى إبلاً ثمينة فيسأل عمر: «ابل من هذه؟»، فيقولون: إبل عبد الله بن عمر، وكأن حية قد انقضت

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٦٦)، ومسلم (١٠٢٧).

عليه فلدغته وأفرغت كل سمها في جوفه، فيقول: «بخ بخ، إبل عبد الله بن عمر، ائتوني به»، ويأتي عبد الله بن عمر يرتجف ويرتعد وهو من هو إمام في الزهد والورع، يقول عمر: «يا عبد الله، ما هذه الإبل؟»، فيقول عبد الله: «يا أبي، إبل مريضة هزيلة اشتريتها بخالص مالي وأطلقتها في الحمى ترعى وأتيت بها إلى السوق لأبتغي ما يبتغيه المسلمون من الربح والتجارة».

فيقول عمر رضي الله عنه: «بخ بخ يا ابن أمير المؤمنين، فإذا رأى الناس إبلك قالوا: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين، اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين، فتسمن إبلك ويربوا ربحك يا ابن أمير المؤمنين، يا عبد الله»، قال: «لبيك يا أبي، مرني بما شئت»، فقال عمر: «بع الإبل الآن، وخذ رأس مالك ورد الربح إلى بيت مال المسلمين».

إنه عمر الفاروق الذي اشتهت زوجته الحلوى يومًا وهو خليفة المسلمين، فأبى عليها وقال: «من اين لي ثمن الحلوى فاشتريها».

وصدق من قال فيه:

يا رافعًا راية الشورى وحارسها ◆◆ جزاك ربك خيراً عن محبيها
رأي الجماعة لا تشقى البلاد به ◆◆ رغم الخلاف ورأي الفرد يشقيها
إن جاع في شدة قوم شركتهم ◆◆ في الجوع أو تنجلي عنهم غواشيها
جوع الخليفة والدنيا بقبضته ◆◆ منزلة في الزهد سبحان مواليها
فمن يباري أبا حفص وسيرته ◆◆ أو من يحاول للفاروق تشبيها
يوم اشتهت زوجه الحلوى ◆◆ فقال لها من اين لي ثمن الحلوى فاشتريها
ما زاد عن قوتنا فالمسلمون به أولى ◆◆ فقومي لبيت المال رديها
فذاك أخلاقه كانت وما عهدت ◆◆ بعد النبوة أخلاق تحاكيها

واسمع للنبي ﷺ وهو يضع تلك الأوسمة على صدر عمر رضي الله عنه، ففي سُنن الترمذي من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه»[١].

❁ وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال: «بينا انا نائم رايتني في الجنة، فإذا مرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر، فذكرت غيرته فوليت مدبراً»، فبكى عمر وقال: «أعليك أغار يا رسول الله؟!»[٢].

❁ وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينا انا نائم، رايت الناس يعرضون وعليهم قُمص، فمنها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعرض عليَّ ابن الخطاب وعليه قميص يجره»، قالوا: فما أولته يا رسول الله؟، قال: «الدين»[٣].

❁ وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينا انا نائم، اوتيت بقدح لبن فشربت منه حتى إني لأرى الري يخرج من اظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب»، قال من حوله: فما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: «العلم»[٤].

❁ وفي الصحيحين من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: استأذن عمر على النبي ﷺ وعنده نسوة من قريش يكلمنه، وفي رواية: يسألنه

---

(١) حسن، أخرجه الترمذي (٣٦٨٣).
(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٦٨٠)، ومسلم (٢٣٩٥).
(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري (٣٩١)، ومسلم (٢٣٩٠).
(٤) أخرجه البخاري (٣٦٨١)، ومسلم (٢٣٩٠)، والترمذي (٢٢٨٥).

ويستكثرنه، عالية أصواتهن على صوته، فلما استأذن عمر يقمن يبتدرون الحجاب، فأذن له النبي ﷺ، فدخل عمر والنبي ﷺ يضحك، قال عمر: «أضحك الله سنك بأبي أنت وأمي، ما أضحكك؟»، فقال: «عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب»، قال عمر: «فأنت يا رسول الله لأحق أن يهبن»،

ثم قال عمر رضي الله عنه: «أي عدوات أنفسهن، أتهبني ولا تهبن النبي ﷺ؟»، قلن: نعم، أنت أفظ وأغلظ من النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «إيه يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان سالكًا فجًا إلا سلك فجًا غير فجك»[1].

إنه عمر الذي كان ينزل القرآن من عند الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ موافقًا لآرائه، يا لها من منزلة عظيمة ومنقبة جليلة، أكرم الله بها فاروق الأمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

عن أنس رضي الله عنه قال عمر: «وافقت ربي في ثلاث، فقلت: يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (البقرة: ١٢٥). وآية الحجاب، قلت: يا رسول الله، لو أمرت نساءك أن يحتجبن، فإنه يكلمهن البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب. واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه، فقلت لهن: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن، فنزلت هذه الآية»[2].

(١) البخاري (٣٢٩٤)، ومسلم (٢٣٩٧).

(٢) حديث صحيح أخرجه البخاري (٤٠٢)، (٤٤٨٣)، والترمذي (٢٩٥٩) وأحمد (١/ ٢٣).

حرمة سب الصحابة رضي الله عنهم

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فلو أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مُد أحدهم ولا نصيفه»[(١)].

المدُ: هو نوع المكاييل، وهو ربع صاع، وهو قدر مُد النبي ﷺ.

وعن عبد الله بن المغفل أن النبي ﷺ قال: «الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضًا بعدي، فمن أحبهم فبحبي لهم أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذي الله أوشك أن يأخذه»[(٢)].

وقال رسول الله ﷺ: «إن الله ـ تبارك وتعالى ـ اختارني، واختار لي أصحابًا، فجعل لي منهم وزراء وأنصارًا وأصهارًا، فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منهم يوم القيامة صرف ولا عدل»[(٣)].

الصرف: النافلة.

العدل: الفريضة.

❁ وقال الإمام الذهبي ـ رحمه الله ـ: «إنما يعرف فضائل الصحابة رضي الله عنهم من تدبر أحوالهم وسيرهم وآثارهم في حياة رسول الله ﷺ وبعد موته من المسابقة إلى الإيمان والمجاهدة للكفار ونشر الدين وإظهار شعائر الإسلام وإعلاء كلمة الله ورسوله وتعليم فرائضه وسننه، ولولاهم ما وصل إلينا من الدين أصل ولا فرع ولا علمنا من الفرائض والسُنن سنة ولا فرضًا، ولا علمنا من الأحاديث

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٤/ ٨٧)، والترمذي (٣٨٦٢).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٦٣٢)، وأبو نعيم في الحلية (٢/ ١١).

والأخبار شيئًا، فمن طعن فيهم أو سبهم فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين؛ لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم وإضمار الحقد فيهم وإنكار ما ذكره الله تعالى في كتابه من ثناءه عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحبهم، ولأنهم أرضى الوسائل المأثورة والوسائط من المنقول والطعن في الوسائط طعن في الأصل والإزدراء بالناقل ازدراء بالمنقول. وهذا ظاهر لمن تدبره وسلم من النفاق والزندقة والإلحاد في عقيدته»[١].

● وقال إمام أهل السنَّة / أحمد بن حنبل ـ رحمه الله تعالى ـ: «ومن الحجة الواضحة المعروفة ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم أجمعين والكف عن ذكر مساويهم، والخلاف الذي شجر بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو واحدًا فيهم أو تنقص أو طعن عليهم أو عرَّض بعيبهم أو عاب أحدًا منهم فهو مبتدع رافض خبيث مخالف، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً، بل حبهم سنة والدعاء لهم قربة والاقتداء بهم وسيلة والأخذ بآثارهم فضيلة، وأصحاب رسول الله ﷺ هم خيرالناس، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئًا من مساويهم ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا نقص»[٢].

وقال ﷺ: «احفظوني في أصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»[٣].

وقال ﷺ: «لعن الله من سب أصحابي»[٤].

وقال الميموني: سمعت أحمد يقول: «ما لهم ولمعاوية؟ نسأل الله العافية»، وقال لي: «يا أبا الحسن، إذا رأيت أحدًا يذكر أصحاب رسول الله ﷺ بسوء فاتهمه على الإسلام»[٥].

---

(١) «الكبائر» للإمام الذهبي (ص٢٧٦). (٢) «السنة» للإمام أحمد (ص٧٨).

(٣) رواه ابن ماجة (٢٦٦٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٦).

(٤) رواه الطبراني في «الكبير»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥١١١).

(٥) رواه اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٢٣٥٩).

وروى ابن بطة بإسناد صحيح كما في (منهاج السُّنَّة) لابن تيمية عن ابن عباس أنه قال: «لا تسبوا اصحاب محمد ﷺ، فلمقام احدهم ساعة - يعني مع رسول الله ﷺ - خير من عمل احدكم اربعين سنة»، وفي رواية وكيع: «خير من عمل احدكم عمره»، ولما ذكر سعيد ابن زيد رضي الله عنه العشرة المبشرين بالجنة قال: «والله لمشهد رجل منهم مع رسول الله ﷺ يغبر فيه وجهه، خير من عمل احدكم ولو عمرَ عمر نوح»[(١)].

وعن جابر رضي الله عنه: قيل لعائش: إن ناسًا يتناولون أصحاب النبي ﷺ حتى أبا بكر وعمر، فقالت: «وما تعجبون من هذا؟ انقطع عنهم العمل فأحب الله أن لا ينقطع عنهم الأجر». ذكره ابن الأثير في (جامع الأصول)، وشاهد قول النبي ﷺ: «إن المفلس من امتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطي هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه؛ أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»[(٢)].

وأخيرًا، روى الإمام أحمد بسند حسن من حديث ابن مسعود موقوفًا عليه رضي الله عنه قال: «من كان مستنًا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك اصحاب محمد ﷺ، كانوا افضل هذه الأمة وابرها قلوبًا واعمقها علمًا واقلها تكلفًا، اختارهم الله لصحبة نبيه ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم على آثارهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم».

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٥٠)، وابن ماجة (١٣٤)، وأحمد (١٦٢٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨١)، والترمذي (٢٤١٨)، وأحمد (٢/ ٣٠٣).

المقتضى السابع : نصرة النبي ﷺ والغيرة على عرضه :

قال تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الفتح: ٨-٩).

قال السعدي ـ رحمه الله ـ في (تفسيره): ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ أيها الرسول الكريم ﴿شَاهِدًا﴾ لأمتك بما فعلوه من خير وشر، وشاهدًا على المقالات والمسائل حقها وباطلها، وشاهدًا لله تعالى بالوحدانية والإنفراد بالكمال من كل وجه. ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ من أطاعك وأطاع الله بالثواب الدنيوي والديني والأخروي، ﴿وَنَذِيرًا﴾ لمن عصى الله بالعقاب العاجل والآجل.

ومن تمام البشارة والنذارة بيان الأعمال والأخلاق التي يبشر بها وينذر، فهو المبين للخير والشر والسعادة والشقاء والشقاوة والحق من الباطل؛ ولهذا رتب على ذلك قوله: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، أي بسبب دعوة الرسول لكم وتعليمه لكم ما ينفعكم أرسلناه، لتقوموا بالإيمان بالله ورسوله المستلزم ذلك لطاعتهما في جميع الأمور، ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ أي تعزروا الرسول ﷺ وتوقروه أي تعظموه وتجلوه وتقوموا بحقوقه كما كانت له المنة العظيمة في رقابكم. فكما أن الإيمان به ﷺ فريضة، فكذلك توقيره ونصره ﷺ.

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في (الصارم المسلول)[1]:

أن الله فرض علينا تعزير رسوله وتوقيره، وتعزيره نصره ومنعه، وتوقيره إجلاله وتعظيمه. وذلك يوجب صون عرضه بكل طريق، بل ذلك أول درجات

---

(١) «الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ» (١٨٠).

التعـزير والتوقير، فـلا يجوز أن نصالح أهل الذمـة على أن يسمعونا شـتم نبينا ويظهروا ذلك، فإن تمكينهم من ذلك ترك للتعـزير والتوقير، وهم يعلمون أن لا نصالحـهم على ذلك، بل الواجب علينا أن نكفهم عن ذلك ونـزجرهم عنه بكل طريق، وعلى ذلك عاهدنهم، فإذا فعلوا فقد نقضوا الشرط الذي بيننا وبينهم.

وقال ـ رحمه الله ـ: إن نصر رسول الله ﷺ فرض علينا؛ لأنه من التعزير المفروض، ولأنه من أعظم الجهاد في سبيل الله، ولذلك قال سبحانه: ﴿**مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ**﴾ (التوبة: ٣٨-٤٠)، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ**﴾ (الصف: ١٤)، بل نصر آحـاد المسلمين واجب بقوله: «**انصر اخاك ظالمًا او مظلومًا**»[(١)]، وبقوله: «**المسلم أخو المسلم، لا يسلمه ولا يظلمه**»[(٢)]، فكيف لا ينصر رسول الله ﷺ ؟!

ومن أعظم النصر حمـاية عرضه ممن يؤذيه وحماية عـرضه ﷺ في كونه نصرًا أبلغ منه في حق غيره؛ لأن الوقيعة في عـرض غيره لا تضر مقصوده، بل يكتب له بها حـسنات، أما انتهاك عرض رسـول الله ﷺ فإنه منافٍ لدين الله بالكلية، فإن العرض متى انتهك سقط الاحـترام والتعظيم، فسقط ما جاء به من الرسالة، فبطل الدين، فقيام المدحة والثناء عليـه والتعظيم والتوقير له قيام الدين

---

(١) رواه البخاري (٢٤٤٣)، والترمذي (٢٢٥٥)، وأحمد (٣/ ٩٩، ٢٠١).

(٢) رواه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨)، وأبو داود (٤٨٩٣).

كله، وسقوط ذلك سقوط الدين كله، وإذا كان كذلك وجب علينا أن ننتصر له ممن انتهك عرضه، والانتصار له بالقتل؛ لأن انتهاك عرضه انتهاك لدين الله، ومن المعلوم أن من سعى في دين الله بالإفساد استحق القتل، بخلاف انتهاك عرض غيره، فإنه لا يبطل الدين، والمعاهد لم نعهده على ترك الانتصار لرسول الله ﷺ منه ولا من غيره، فإذا سبه فقد وجب علينا أن ننتصر له بالقتل، ولا عهد معه على ترك ذلك فيجب قتله، وهذا بيِّن واضح لمن تأمله.

وقد كان الصحابة ﷺ أشد غيرة على عرض نبيهم ﷺ لفهمهم ما لسب النبي ﷺ من خطورة على الدين، لذا فلقد امتلأت السنة بالكثير من القصص التي تحمل تجسيدًا لغيرة الصحابة على النبي ﷺ .. من ذلك:

▪ قصة العصماء بنت مروان: قال الواقدي (صاحب المغازي)[1]: أن عصماء بنت مروان من بني أمية بن زيد وكانت تحت يزيد بن زيد بن حصن الخطمي، وكانت تؤذي النبي ﷺ وتعيب الإسلام وتحرض على النبي ﷺ وتقول:

فبأست بني مالك والنبيت ••• وعوف وبأست بني الخزرج
أطعتم أتاوى من غيركم ••• فلا من مراد ولا من مذحج
ترجونه بعد قتل الرؤوس ••• كما ترتجي مرق المُنضِج

فقال عمير بن عدي الخطمي حين بلغه قولها وتحريضها: اللهم إن لك عليَّ نذرًا لئن رددت رسول الله ﷺ إلى المدينة لأقتلنها، ورسول الله ﷺ ببدر، فلما رجع رسول الله ﷺ من بدر جاء عمير بن عدي في جوف الليل حتى دخل عليها في بيتها وحولها نفر من ولدها نيام، منهم من ترضعه في صدرها،

(١) «المغازي» للواقدي (١/ ١٧٢).

فجسها بيده فوجد الصبي ترضعه، فنحاه عنها ثم وضع سيفه على صدرها حتى أنفذه من ظهرها، ثم خرج حتى ﷺ الصبح مع النبي ﷺ، فلما انصرف النبي ﷺ نظر إلى عمير فقال: «اقتلت بنت مروان»، قال: نعم، بأبي أنت وأمي يا رسول الله.

وخشي عمير أن يكون أفتات على رسول الله ﷺ بقتلها، فقال: هل عليَّ في ذلك شيء يا رسول الله؟ قال: «لا ينتطح فيها عنزان»، فإن أول ما سمعت هذه الكلمة من رسول الله ﷺ، قال عمير: فالتفت النبي ﷺ إلى من حوله فقال: «إذا أحببتم أن تنظروا إلى رجل نصر الله ورسوله بالغيب فانظروا إلى عمير بن عدي»، فقال عمر بن الخطاب: «انظروا إلى هذا الأعمى الذي تسرى في طاعة الله»، فقال: «لا تقل الأعمى، ولكنه البصير».

فلما رجع عمير من عند رسول الله ﷺ وجد بنيها في جماعة يدفنونها، فأقبلوا إليه حين رأوه مقبلاً من المدينة، فقالوا: يا عمير، أنت قتلتها؟ فقال: نعم، فكيدوني جميعًا ثم لا تنظرون، والذي نفسي بيده، لو قلتم بأجمعكم ما قالت لضربتكم بسيفي هذا حتى أموت أو أقتلكم. فيومئذ ظهر الإسلام في بني خطرة، وكان منهم رجال يستخفون بالإسلام خوفًا من قومهم، فقال حسان بن ثابت يمدح عمير بن عدي:

بني وائل وبني واقف ◆◆ وخطمة دون بني الخزرج
متى ما دُعت أختكم ◆◆ ويحها بعولتها والمنايا تجي
فهزت فتى ماجداً عرقه ◆◆ كريم المداخل والمخرج
فضرجها من نجيع الدما ◆◆ قُبيل الصباح ولم تخرج
فأوردك الله برد الجنان ◆◆ جذلان في نعمة المولج

❁ ومن ذلك قصة الأعمى الذي قتل أم ولده: عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي ﷺ وتقع فيه، فينهاها فلا تنتهي ويزجرها فلا تنزجر، فلما كان ذات ليلة جعلت تقع في النبي ﷺ وتشتمه فأخذ المغول فوضعه في بطنها واتكأ عليها فقتلها، فلما أصبح ذُكر ذلك للنبي ﷺ، فجمع الناس فقال: «**انشد الله رجلاً فعل ما فعل لي عليه حق إلا قام**»، قال: فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتدلدل حتى قعد بين يدي النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أنا صاحبها، كانت تشتمك وتقع فيك، فأنهاها فلا تنتهي وأزجرها فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين، وكانت بي رفيقة، فلما كان البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك، فأخذت المغول فوضعته في بطنها واتكأت عليه حتى قتلتها، فقال النبي ﷺ: «**ألا اشهدوا أن دمها هدر**»[(١)].

المغول: شبيه المشمل، نصله دقيق ماض، والمشمل هوالسيف القصير.

❁ ومن ذلك: قصة محمد بن مسلمة رضي الله عنه وقتله كعب بن الأشرف اليهودي؛ لأنه آذى رسول الله ﷺ.. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لكعب بن الأشرف، فإنه قد آذى الله ورسوله**»، فقام محمد ابن مسلمة فقال: يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟ قال: «**نعم**»، قال: فأذن لي أن أقول شيئًا[(٢)]، قال: «**قُل**».

فأتاه محمد بن مسلمة فقال: إن هذا الرجل قد سألنا الصدقة، وإنه قد عنَّانا[(٣)]، وإني قد أتيت أستسلفك، قال: قال: وأيضًا والله لتملنه، قال: اتبعناه

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٦١)، والنسائي (٤٠٧٠)، والدارقطني (٤/ ٢١٦)، والحاكم (٤/ ٣٥٤)، وصححه العلامة الألباني.

(٢) فأذن لي ان اقول شيئًا: أي أقول كلمة أخدعه بها، والحرب خدعة.

(٣) قد عنَّانا: أي أتعبنا واجهدنا.

فلا نحب أن ندعه ننظر إلى أي شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا وسقًا أو وسقين، فقال: نعم ارهنوني، قالوا: أي شيء تريد؟ قال: ارهنوني نساءكم، قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟ قال: فارهنوني أبناءكم، قالوا: كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال: رهن بوسق أو بوسقين، هذا عار علينا، ولكن نرهنك اللائمة، قال سفيان: يعني السلاح.

فواعده أن يأتيه فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة وهو أخو كعب من الرضاعة، فدعاهم إلى الحصن فنزل إليه، فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ فقال: إنما هو محمد بن مسلمة وأخي أبو نائلة. وقال غير عمرو: ورضيعي أبو نائلة، إن الكريم لو دعى إلى طعنة بليل لأجاب، قال: ويدخل محمد بن مسلمة معه رجلين، قيل لسفيان سماهم عمرو؟ قال: سمى بعضهم: قال عمرو جاءه برجلين، وقال غير عمرو أبو عبس بن جبر والحارث بن أوس وعباد بن بشر، قال عمرو: جاء معه برجلين، فقال: إذا ما جاء فإني قائل بشعره فأشمه، فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه، وقال مرج ثم أشمكم، فنزل إليه متوحشًا وهو ينخ منه ريح الطيب، فقال: ما رأيت كاليوم ريحًا (أي أطيب)، وقال غيرعمرو: قال عند أعطر نساء العرب وأكمل العرب، قال عمرو: فقال، أتأذن لي أن أشم رأسك؟ قال: نعم، فشمه ثم أشم أصحابه، ثم قال: أتأذن لي؟ قال: نعم، فلما استمكن منه قال: دونكم، فقتلوه ثم أتوا رسول الله ﷺ فأخبروه[1].

وقد كان كعب بن الأشرف شاعرًا يهوديًا، وكان يهجو رسول الله ﷺ، وفي رواية جابر عند الحاكم في (الإكليل): فقد آذانا بشعره وقوى المشركين،

---

(١) متفق عليه: البخاري (٣٠٣١، ٣٠٣٢)، ومسلم (١٨٠١)، وأبو داود (٢٧٦٨).

فلما طلب النبي ﷺ فارسًا من الصحابة الكرام فرسان الإسلام، قام إليه محمد بن مسلمة رضي الله عنه، واستأذن النبي ﷺ في أن يعرض عليه بالكلام، وفي المعاريض مندوحة عن الكذب، فأخبر كعبًا أن رسول الله ﷺ قد «عنانا» أي أتعبنا وبلغ منا الجهد، هي تحتمل ما فهمه كعب من أنهم سوف يملون رسول الله ﷺ، وهي تحتمل أنهم يبذلون في الإسلام ويتحملون المشاق في سبيل الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ.

وقد روى ابن إسحاق أن النبي ﷺ مشى معهم إلى بقيع الغرقد ثم وجههم فقال: «**انطلقوا على اسم الله، اللهم أعنهم**». وقد ظهر في قصة قتل كعب بن الأشرف توفيق الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ لمحمد بن مسلمة وصاحبيه، وإنما دفع الصحابة الكرام إلى هذه المواقف شدة محبتهم للنبي ﷺ ومبادرتهم لتنفيذ أمره.

وقال ابن إسحاق: رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة فشبب بنساء المؤمنين حتى آذاهم، فقال رسول الله ﷺ كما حدثني عبد الله بن المغيث بن أبي بردة: «**من لي بابن الأشرف؟**»، فقال له محمد بن مسلمة أخو بني الأشهل: «أنا لك به يا رسول الله، أنا أقتله»، قال: «**فافعل إن قدرت على ذلك**»[(١)].

وقال حسان بن ثابت يذكر قتل كعب بن الأشرف وسلام بن أبي الحقيق:

لله درُ عصابة لاقيتهم ••• يا ابن الحقيق وانت يا ابن الأشرف
يسرون بالبيض الخفاف إليكم ••• فرحًا كأسد في عرين معرف
حتى أتوكم في محل بلادكم ••• فسقوكم حتفًا ببيض ذفف
مستنصرين لنصر دين نبيهم ••• مستصغرين لكل أمر مجحف[(٢)]

---

(١) «سيرة ابن هشام مع الروض الأنف» (٣/ ١٤٠).
(٢) «سيرة ابن هشام» (٣/ ١٤٢).

❁ومن ذلك قصة رافع بن أبي الحقيق، ويقال سلام بن أبي الحقيق: قال ابن هشام في (السيرة النبوية): لما انقضى أمر الخندق وأمر بني قريظة، وكان أبو رافع سلام بن أبي الحقيق ممن كان حزب الأحزاب على رسول الله ﷺ، وكانت الأوس قبل أحد قد قتلت كعب بن الأشرف في عداوة رسول الله ﷺ وتحريضه عليه، فاستأذنت الخزرج رسول الله ﷺ في قتل سلام بن أبي الحقيق، وكان بخيبر، فأذن لهم[1].

ففي صحيح البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجالاً من الأنصار، فأمَّر عليهم عبد الله بن عتيك، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ ويعين عليه، وكان في حصن له بأرض الحجاز، فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم، فقال عبد الله لأصحابه، اجلسوا مكانكم، فإني منطلق ومتلطف للبواب لعلي أن أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجة، وقد دخل الناس، فهت به البواب: يا عبد الله، إن كنت تريد أن تدخل فادخل، فإني أريد أن أغلق الباب، فدخلت فكمنت، فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الأغاليق على وتد.

قال: فقمت إلى الأقاليد فأخذتها ففتحت الباب، وكان أبو رافع يُسمر عنده، وكان في علالي له، فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت إليه فجعلت كلما فتحت بابًا أغلقت عليَّ من داخل، قلت: إن القوم نذروا بي لم يخلصوا إليَّ حتى أقتله، فانتهيت إليه، فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله، لا أدري

(١) «سيرة ابن هشام» (٣/ ٢٣١)، وأخرجه الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ١٣٧) مختصراً.

أين هو من البيت؟ ،فقلت: يا أبا رافع، قال: من هذا، فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش، فما أغنيت شيئًا، وصاح فخرجت من البيت فأمكث غير بعيد، ثم دخلت إليه فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال: لأمك الويل، إن رجلاً في البيت ضربني قبلُ بالسيف، قال: فأضربه ضربة أثخنته ولم أقتله، ثم وضعت ظبة السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره، فعرفت أني قتلته.

فجعلت أفتح الأبواب بابًا بابًا، حتى انتهيت إلى درجة له، فوضعت رجلي وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض فوقعت في ليلة مقمرة فانكسرت ساقي، فعصبتها بعمامة ثم انطلقت حتى جلست على الباب، فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته، فلما صاح الديك قام الناعي على السور، فقال: أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز، فانطلقت إلى أصحابي، فقلت: النجاء فقد قتل الله أبا رافع، فانتهيت إلى النبي ﷺ فحدثته فقال: «ابسط رجلك»، فبسطت رجلي، فمسحها فكأنها لم أشتكها قط[1].

❁ وفي الصحيحين عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: إني لواقف في الصف يوم بدر فنظرت عن يميني وعن شمالي، فإذا أنا بغلامين من الأنصار حديثة أسنانهما، فتمنيت أني أكون بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما فقال: أي عم، هل تعرف أبا جهل؟، قلت: نعم، فما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: أخبرت أنه يَسبُ رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده، لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل من، قال: فتعجبت لذلك.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٠٣٩).

وقال: وغمزني الآخر فقال لي مثلها، فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس، فقلت لهما: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذي تسألاني عنه، قال: فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه، فقال: «أيكما قتله؟» فقال كل واحد منها: أنا قتلته؟ فقال: «هل مستحما سيفيكما؟»، فقالا: لا، فنظر رسول الله ﷺ إلى السيفين فقال: «كلاكما قتله»[1]، وقضى رسول الله ﷺ بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح والرجلان: معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعاذ بن عفراء . . والقصة مشهورة في فرح النبي ﷺ بقتله وسجوده شكرًا وقوله: «هذا فرعون هذه الأمة»[2].

ومن سُنَّة الله أن من لم يمكن المؤمنون أن يعذبوه من الذين يؤذون الله ورسوله، فإن الله سبحانه ينتقم منه لرسوله ويكفيه إياه، قال سبحانه: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (الحجر: ٩٤-٩٥)، فهذه الآية بشارة للمؤمنين الذين أُذوا بسبب سب نبيهم ﷺ ولم يُمكنوا من الانتصار له أن الله يكفيهم هذا الأمر ويثلج صدورهم بالنصر لرسوله ﷺ.

وقد ذكر أهل التفسير والسير إهلاك الله للذين كانوا يستهزئون بالنبي ﷺ منهم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسودان بن المطلب وابن عبد يغوث والحارث بن قيس.

وقد كتب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر وكلاهما لم يُسلم، لكن قيصر أكرم كتاب النبي ﷺ وأكرم رسوله فثبت ملكه وكسرى مزَّق كتاب رسول الله

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣١٤١)، ومسلم (١٧٥٢)، وأحمد (١/ ١٩٢).

(٢) أخرج بهذا اللفظ أحمد (١/ ٤٠٣)، والطبراني في «الكبير» (٨٤٧١)، وقال الطبراني في «المجمع» (٦/ ٧٩): رجاله رجال الصحيح غير وهب بن أبي كريمة وهو ثقة.

ﷺ واستهزء برسول الله ﷺ فقتله الله بعد قليل ومزق ملكه كل ممزق، وهذا والله أعظم تحقيق لقوله سبحانه: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (الكوثر:٣)، فكل من شنأه وأبغضه وعاداه ﷺ فإن الله يقطع دابره ويمحق عينه وأثره.

وقد قيل أنها نزلت في العاص بن وائل أو في عقبة بن أبي معيط أو في كعب بن الأشرف، وقد رأى صنيع الله بهم. ومن الكلام السائر: «لحوم العلماء مسمومة»، فكيف بلحوم الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «**يقول الله تعالى: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالمحاربة**»[1]. فكيف بمن عادى الأنبياء ومن حارب الله تعالى حرب، وإذا استقصيت قصص الأنبياء المذكورة في القرآن تجد أممهم إنما أهلكوا حين آذوا الأنبياء وقابلوهم بقبيح القول أو العمل.

وهكذا بنوا إسرائيل إنما ضربت عليهم الذلة وباءوا بغضب من الله لقتلهم الأنبياء بغير حق مضمومًا إلى كفرهم، كما ذكر الله ذلك في كتابه، ولعلك لا تجد أحدًا آذى نبيًا من الأنبياء ثم لم يتب إلا ولابد أن تصيبه قارعة، وقد جرب المسلمون تعجيل الله بالانتقام من الكافرين، إذا تعرضوا لسب النبي ﷺ.

فاللهم عجل لنا بالنصر من عدوك وعدونا الذين سبوا رسولك ﷺ، ولا حيلة لنا في الانتقام له ﷺ، واثلج اللهم صدورنا بقرار عيوننا بالانتقام منهم، إنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

---

(١) البخاري (٢/ ٦٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٤٩١).

المقتضى الثامن : ترسيخ محبة النبي ﷺ في نفوس الأطفال :

إذ بها يتحقق الشطر الثاني من الشهادة، وهي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ .

وقد سار السلف الصالح ومن خلفهم في تركيزها وتثبيتها في نفس الطفل، إذ به تتحرك مشاعر الطفل وأحاسيسه وتزيد حرارة الشعور الإسلامي، وتدفع به إلى كل خير وتحل له مشكلاته كلها، وتهون عليه كل مصيبة، ومن الملاحظ على النفس البشرية عامة أنها في مرحلة بنائها تحاول أن تتشبه بأقوى شخصية حولها لتقتدي بها وتسير على هداها وتقلدها في كل حركاتها. والتربية الإسلامية طلبت أن يشد الطفل الصغير والرجل الكبير إلى شخص الرسول ﷺ ، إذ هو القدوة الراسخة الثابتة التي لا تتبدل، وهو أكمل البشر على الإطلاق، وهو أفضل رسل الله أجمعين.

وما العذاب الذي تصاب به النفس البشرية، وما الأمراض النفسية والعصبية المنتشرة هنا وهناك إلا أثر من آثار البعد عن القدوة الصحيحة وعدم التشبه برسول الله ﷺ ، وإنما نلاحظ من الأجيال المنحرفة أنها تعيش في فراغ الشخصية تلهث وراء الموضات المتغيرة بين فصل وآخر من فصول السنة وتركض وراء الممثلين المائعين المنحرفين البعيدين كل البعد عن المنهج الرباني، وتهرول خلف بعض من يسمون أنفسهم مفكري العصر ورواده المثقفين الذين ينفخ الشيطان في رؤوسهم فيحسبونه فكراً نيراً.

وهكذا نجد أهمية وجود شخصية حية يقتدي بها الطفل الناشئ، وهل هناك أفضل من الاقتداء برسول الله ﷺ ، فكيف إذن نرسخ محبة النبي ﷺ ؟ :

أولاً ـ بالأمور التي ذكرناها سابقًا، وهي الوصول إلى حب الرسول ﷺ، ولكن يجدر التنبيه إلى أن الطفل لن يصل إلى هذه الأمور بنفسه، فلابد إذن من وجود وسيط مخلص بينه وبين النبي ﷺ، ونقصد به هنا أبوي الطفل؛ لأنه في بدء حياته لا يتعلم إلا من سلوك أبويه، فإذا ما سلك الآباء المسلك الصحيح إلى الله فسوف يخلفهم الأبناء على ذلك؛ لأن الطفل غالبًا يحب ما يحبه أبواه ويحاول تقليدهما في كل شيء.

فكل أمر يريد المربي أن يرسخه في نفس الطفل فعليه هو القيام به أمامه تكرارًا لينشأ الطفل على اعتقاد صحته، وإياك ثم إياك أن تختلف أقوالك لولدك مع أفعالك، وإلا فسوف تكون سببًا في تسرب أخلاق المنافقين إلى ولدك ـ والعياذ بالله ـ.

✿ ثم بعد ذلك بتعليمه القرآن؛ فينبغي لولي الصغير والصغيرة أن يبدأ بتعليمهما القرآن منذ الصغر، وذلك ليتوجها إلى اعتقاد أن الله تعالى هو ربهم وأن هذا كلامه تعالى وتسري روح القرآن في قلوبهم ونوره في أفكارهم ومداركهم وحواسهم، وليتلقيا عقائد القرآن منذ الصغر، وأن ينشأا ويشبا على محبة القرآن والتعلق به والائتمار بأمره والانتهاء عن مناهيه والتخلق بأخلاقه والسير على منهاجه.

قال الحافظ السيوطي: تعليم الصبيان القرآن أصل من أصول الإسلام، فينشأون عل الفطرة ويسبق إلى قلوبهم أنوار الحكمة قبل تمكن الأهواء منها وسوادها بأكدار المعصية والضلال.

وأكد ابن خلدون هذا المفهوم بقوله: تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين، أخذ به أهالي الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق إلى القلوب

من رسوخ الإيمان وعقائده بسبب آيات القرآن ومتون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذي يبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات.

وتعلم الطفل للقرآن في الصغر ينقي سريرته، ويجعله محلاً صالحًا لقبول الخير، ومن أهمه محبة النبي ﷺ التي ننشدها.

❁ ثم بعد ذلك نسرد على آذانهم مواقف أطفال الصحابة مع النبي ﷺ ومحبتهم له، ومن ذلك ما فعله علي بن أبي طالب رضي الله عنه في المسارعة لتلبية دعوة النبي ﷺ له إلى الإسلام دون استشارة أحد، وكذلك يعايش رضي الله عنه وهو في الثامنة من عمره الدعوة الإسلامية الأولى في مرحلتيها السرية والعلنية دون خوف أو وجل ويصلي مع النبي ﷺ وزوجته خديجة في شعاب مكة سرًا فيراه أبوه أبو طالب، فإذا بعلي لا يخاف ولا يتلجلج.

ثم هذا أنس رضي الله عنه وهو الطفل الصغير الذي قام على خدمة النبي ﷺ عشر سنين يتخلى عن أحب شيء إلى الأطفال ويستجيب للنداء ويسارع لتنفيذ الأمر النبوي، فيترك اللعب وينصاع للأمر، بل إن الأمر ليتعدى انتظار الأوامر وينتقل أطفال الصحابة إلى مرحلة أعلى في الحب الصادق، وذلك بترقب حاجيات النبي ﷺ ليسارعوا إلى وضعها أمامه بدون أن يتكلم أو يسمع أمرًا، وهذا من قيم الحب الخالدة.

❁ أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ دخل الخلاء، قال: فوضعت له وضوءًا فقال: «من وضع هذا؟»، فأخبره فقال: «اللهم فقهه في الدين»[1].

---

(١) البخاري (١٤٣)، ومسلم (٢٤٧٧).

❁ وروى الشيخان عن عطاء بن أبي ميمونة قال: سمعت أنسًا يقول: «كان رسول الله ﷺ يأتي الخلاء فأتبعه أنا وغلام من الأنصار بإداوة من ماء، فيستنجي به»[1].

❁ ومن حبهم للنبي ﷺ قتالهم لمن يؤذي النبي ﷺ، كما في قصة معاذ ابن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء.

وقد روى شهاب الدين الأبشهي في كتابه (المستطرف من كل فن مستظرف) قصة لطيفة في مبناها ومعناها، وهي أن غلمانًا من أهل البحرين خرجوا يلعبون بالصوالجة وأسقف البحرين قاعد، فوقعت الكرة على صدره فأخذها فجعلوا يطلبونها منه، فأبى فقال غلامهم: سألتك بحق محمد ﷺ إلا رددتها علينا، فأبى ـ لعنه الله ـ وسب الرسول ﷺ، فأقبلوا عليه بصواليجهم فمازالوا يخبطونه حتى مات ـ لعنه الله ـ، فرفع ذلك إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فوالله ما فرح بفتح ولا غنيمة كفرحته بقتل الغلامان لذلك الأسقف وقال: «الآن عز الله الإسلام أن أطفالاً صغارًا شُتم نبيهم فغضبوا له وانتصروا»، فأهدر دم الأسقف، والله سبحانه أعلم.

❁ وكذلك ينبغي تحفيظهم قدرًا من أحاديث النبي ﷺ.

❁ عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: لقد كنت على عهد رسول الله ﷺ غلامًا، فكنت أحفظ عنه فما يمنعني من القول إلا هاهنا رجالاً هم أسن مني.

❁ وتشجيعهم على ذلك .. قال إبراهيم بن أدهم: قال لي أبي: يا بني، اطلب الحديث، فكلما سمعت حديثًا وحفظته فلك درهم، فحفظت الحديث على هذا.

---

(١) البخاري (١٥٠)، ومسلم (٢٧١).

❁ وكذلك ينبغي تعليمهم سيرة النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم .

فلقد حرص الصحابة والسلف رضي الله عنهم على دراسة سيرة النبي ﷺ وتلقينها لأطفالهم، حتى إنهم ليقرئونها مع تعليم القرآن؛ لأنها الترجمان لمعاني القرآن مع ما فيها من إثارة العاطفة ومشاهدة الواقع الإسلامي، ولما لها من تأثير عجيب في النفس ولما تحمل في طياتها معاني الحب والجهاد في إنقاذ البشرية من الضلال إلى الهدى، ومن الباطل إلى الحق، ومن ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام.

فعن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: كان أبي يعلمنا المغازي والسرايا ويقول: «يا بني، إنها شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها».

وقال زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنه: «كنا نُعلم مغازي رسول الله ﷺ كما نعلم السور من القرآن».

المقتضى التاسع : التخلق بأخلاق النبي ﷺ والتأدب بآدابه :

وهما من لوازم المحبة الصادقة للنبي ﷺ ، فإذا كنا نعلم أن الإنسان لابد له من متبوع يقتدي به وإلا اقتدى بهواه ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله ـ، وإذا كان للمسلم شأن وللناس شأن آخر، فالمسلم لا يقتدي إلا بالقدوة الصالحة، فنجد أن القرآن قد رفع عنه عناء البحث عن القدوة، فحدد له أسوته وقدوته الصالحة؛ قال ـ عَزَّ وجَلَّ ـ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١).

❁ فالنبي ﷺ أسوة للمؤمنين ومثلاً أعلى في كل شيء، لذا قالت السيدة عائشة رضي الله عنها في إجابتها لمن سألها: يا أم المؤمنين، أنبئني عن خلق رسول

الله ﷺ ؟ قالت: «ألست تقرأ القرآن؟»، قلت: بلى، قالت: «فإن خُلق نبي الله ﷺ كان القرآن».

ألم يكن النبي ﷺ مثلاً أعلى في تحري الصدق وأداء الأمانة حتى سُمي بالصادق الأمين. ألم يكن مثلاً أعلى في التفاني في سبيل الحق؟ أليس هو ﷺ القائل: «يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه».

ألم يكن ﷺ مثلاً أعلى في الشجاعة والإقدام.. لقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعًا وقد سبقهم إلى الصوت وهو على فرس أبي طلحة عري[1] في عنقه السيف وهو يقول: «لم تراعوا لم تراعوا»[2].

ألم يكن ﷺ مثلاً أعلى في الرحمة؛ عن أبي قتادة عن النبي ﷺ قال: «إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه»[3].

ألم يكن ﷺ مثلاً أعلى في الحياة الزوجية كزوج ووالد ورب أسرة وراعي ومسئول، وكأنه ﷺ قد تخصص في هذا الأمر فقط، ولم تشغله أعباء الأمة ومشاكلها.

ألم يكن النبي مثلاً أعلى في الحلم، وذلك واضح كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه بُرد نجراني غليظ الحاشية،

---

(١) عري: ليس عليه سراج.

(٢) مسلم (٢٣٠٧).

(٣) البخاري (٧٠٧)، ومسلم (٤٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، قال: يا محمد، مُر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت رسول الله ﷺ ثم ضحك، ثم أمر له بعطاء[(١)].

ألم يكن النبي ﷺ مثلاً أعلى في الحياء، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها، وكان إذا كره شيئًا عرفناه في وجهه»[(٢)].

ألم يكن النبي ﷺ مثلاً أعلى في التواضع؛ عن أنس رضي الله عنه يقول: «ما رأيت رجلاً التقم أذن النبي ﷺ فينحي رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه، وما رأيت رجلاً أخذ بيده فترك يده حتى يكون الرجل هو الذي يدع يده».

وهكذا كلما بحثت عن خلق كريم وجدت النبي ﷺ قد ضرب فيه المثل الأعلى، وسبحان من قال في حقه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤)، وكذلك أدابه ﷺ، فقد تأدب بأحسن الآداب ﷺ، فمن لوازم محبته ﷺ أن نتخلق بأخلاقه ونقتدي بآدابه ﷺ.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٠٨٨)، ومسلم (١٠٥٧).

(٢) متفق عليه: البخاري (٦١١٩)، ومسلم (٢٣٢٠).

مكارم أخلاق الرسول ﷺ

يا من له الأخلاق ما تهوى العلا ••• منها وما يتعشق الكبراء

لو لم تقم دينا لقامت وحدها ••• دينا يضيء بنوره الأناء

زانتك في الخُلق العظيم شمائل ••• يُغري بهن ويولع الكرماء

وإذا سخوت بلغت بالجود المدى ••• وفعلت ما لم تفعل الأنواء

وإذا عفوت فقادراً ومقدراً ••• لا يستهين بعفوك الجهلاء

وإذا رحمت فأنت أم أو أب ••• هذان في الدنيا هم الرحماء

وإذا غضبت فهي غضبة ••• في الحق لا ضغن ولا بغضاء

وإذا رضيت ففي مرضاته ••• ورضى الكثير تحلم ورياء

وإذا خطبت فللمنابر هِزة ••• تعروا الندى وللقلوب بكاء

وإذا قضيت فلا ارتياب كأنما ••• جاء الخصوم من السماء قضاء

وإذا أخذت العهد أو أعطيته ••• فجميع عهدك ذمة ووفاء

بك يا ابن عبد الله قامت سمعة ••• بالحق من ملل الهدى غراء

بُنيت على التوحيد وهي حقيقة ••• نادى بها الحكماء والعقلاء

الله فوق الخلق فيها وحده ••• والناس تحت لوائها أكفاء

والدين يسر والخلافة بيعة ••• والأمر شورى والحقوق قضاء

أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى ••• فالكل في حق الحياة سواء

ظلموا شريعتك التي نلنا بها ••• ما لم ينل في رومة الفقهاء

صلى عليك الله ما صحب الدجى ••• حادٍ وحنَّت بالفلا وجناء

من ديوان الشاعر/ أحمد شوقي

ذكر شيء من معجزات النبي ﷺ شعراً

إليك رسول الله منا تحية ... وصلى عليك العابد المتهجد

فأنت رسول الله هادٍ ومهتدٍ ... نبي هدى للأنبياء مؤيد

وقد قال حسان وفي الشعر شاهد ... تجدده الأيام يُروي ويُنشد

أغر عليه للنبوة خاتم ... من الله مشهود يلوح ويشهد

وضم الإله اسم النبي إلى اسمه ... إذ قال في الخمس المؤذن أشهد

فقلت شبيهًا بالذي قال إنني ... به مؤمنًا حقًا لربي موحد

فلا يقبل التوحيد إلا بذكره ... ليقرنه عند النداء الموحد

وما جاء يدعونا بغير دلالة ... ولكن بآيات تدل وتشهد

ومن ذاك جذع حن شوقًا إلى الرضى ... ومازال ساعات يميل ويُسند

وقد سمعوا صوتًا من الجذع بينًا ... فيا عجبًا ممن يشك ويلحد

ومن ذاك شاة خلوة الضرع مسها ... فدرت بغزر حافل يتزيد

فقام إليها الحالبان فأترعا ... أوانيهما والضرع ملآن أبرد

وسار إلى البيت المقدس ليلة ... مسيرة شهر وارداً ليس يطرد

يخبر بالعير التي في طريقه ... ليوقن أهل الشرك ذاك فيسعدوا

ومن ذاك أخبار عن الغيب قالها ... يعاين فيها الصدق فيها ويوجد

فسؤدده بالله إذ كان وحيه ... إليه وهل فوق النبوة سؤدد

فأظهر بالإسلام دعوة صادق ... فضل به قوم وقوم به هُدوا

تسلم أحجار عليه فصيحة ... إذا ما خلا في حاجة يتفرد

ويسمع من أصواتها في طريقه ... تمجده إن النبي مُمجدُ

وأنشأ ربي مُزنة فوق رأسه ••• رآها بحيرُ الراهب المتعبد
تظلله من كل حر يصيبه ••• تقيم عليه ما أقام فيركد
وإن سار سارت لا تفارق رأسه ••• فقال لهم هذا النبي محمد
حليم رحيم لين متواضع ••• سخي حيي عابد متزهد

اللهم يا حي يا قيوم، إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا من النار، يا عزيز يا غفار، يا كريم يا منان، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم ارزقنا الإخلاص في القول والعمل والسر والعلن.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلي اللهم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليمًا كثيرًا.

أخوكم
(أبو عمر)
أشرف أحمد عثمان الأزهري
غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين